View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE
provided by E-Journal System IAIN Bengkulu (Institut Agama Islam Negeri)

النص القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص

د.رجب إبراهيم أحمد عوض

Ragab Ibrahim Ahmed Awad

كلية اللغة العربية – جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية

د.السيد محمد سالم

El Sayed Mohamed Salem Alawadi

كلية اللغات والاتصال – جامعة السلطان زين العابدين

ملخص البحث:

النص القرآني نص رباني مقدس، جاء لبيان مراد الله من عباده، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم- السبيل الوحيد لبيان ما استُشكل على المسلمين في فهم ألفاظه ومعانيه، ثم رصيد لغوي أصيل يمتلكه المسلمون وقتئذٍ. بيد أن الأمر أصبح عسرا، والطريق إلى فهم مراد القرآن أصبحت غير مُعبَّدةٍ على الرغم من أن الله جعل القرآن ميسرا للذكر. والسبب في هذا الإعسار وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم- من جهة، ثم البون الزمني الشاسع بين وقت نزول القرآن وبداية عصر التدوين الذي قارب قرنين من الزمان تغيرت فيهما اللغة واتسعت مدلولاتها وبعدت غير قليل عن الفصحى المتمكنة.

وفي ظل هذا خرجت تفاسير كثيرة لبيان المعنى القرآني تنوعت بين اللغوي وما تفرع عنه من اختلافات بين النحاة في الإعراب وما يترتب عليه من معنى، والتأويلي وما شابه من تعصب لمذهب سياسي أو ديني مما أضر بالمعنى القرآني وخفاء دلالته على العامة وكثير من أهل العلم. ولهذا؛كان هذا البحث الموسوم بـ" النص القرآني بين اللغة والتأويل" نحاول فيه بيان هذه الإشكالية متناولين إياها حسب المهج العلمي الصحيح، وسأتعرض لبعض التفاسير التي اعتمدت على اللغة لبيان المعنى، والأخرى التي اتخذت التأويل منهجا في ذلك.

- **لمقدمة**

إن الناظر في علم التفسير وكتب التفسير ليقف على ما لا مفر من القرار به ألا وهو وقوع الاختلاف في هذا التفسير، إذ إن وقوع الاختلاف في تفسير كتاب الله - عز وجل- حقيقة لا ينكرها إلا مكابر أو عديم الاطلاع على كتب التفسير والمفسرين.

ولقد اهتم المفسرون عبر مراحل تاريخ هذه الأمة بوضع القواعد المنهجية التي ترسموها في تفاسيرهم، وكشف الباحثون القناع عن أسس هذه المناهج وطرقها.

ومرت الحركة التفسيرية بأربعة مراحل:

- **مرحلة التأسيس:** وهي المرحلة التي نشأ فيها التفسير وتأسس، وكان بدايتها في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم- واستمرت على مدار القرون الثلاثة الأولى، التي شهد لها النبي - صلى الله عليه وسلم- بالخير والفضل.
- **مرحلة التأصيل:** وهي مرحلة التقعيد لعلم التفسير، وكانت في نهاية القرن الثالث، وإمام هذه المرحلة ابن جرير الطبري.
- **مرحلة التفريع:** وفيها انتقل التفسير من التأصيل إلى التفريع وفقا للقضايا والأحداث، ولما برع فيه المفسر من علوم فظهر التفسير البياني، والعقلي واللغوي..وغيرها.
- **مرحلة التجديد:** وهي مرحلة قائمة على الاستفادة من العلوم المعاصرة، والتوسع في استخراج الدلالات القرآنية وإسقاطها مع ما يتناسب مع الواقع.

المبحث الأول: التأويل لغة واصطلاحا

التأويل في اللغة:

تطالعنا معاجم اللغة العربية بمعنى التأويل المتضمن في ثنايا أبوابها وفصولها بعدة معانٍ:

1- المآل والرجوع: نقول:آل الشيء يؤول أوْلاً ومآلا: رجع..وأوَّل الكتاب الكلام وتأوله وبرَّه، وقدَّره، وأوَّله وتأوَّله:فسَّرهُ.[1]

ومعنى هذا أن المؤوِل يردُّ الكلام إلى ما يمكن أن يحتمل من المعاني.

2- الجمع والإصلاح:"أوَّلتُ الشيء"جمعته وأصلحته، والمعنى أن التأويل يجمع المعاني المُشكِلة بلفظ واضح لا إشكال فيه.

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، مادة"أول". 11/32-33.

3- السياسة: فالإيالة السياسة، لأن الرعية ترجع الأمور وتعيدها وتردها إلى راعيها، وقولهم :آل الحاكم رعيته:إذا أحسن سياستها.وآل الرجل:أهل بيته، لأنهم في مآلهم ومرجعهم ينتهون إليه.

وعليه، فإن التأويل هو ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا، ومن هذا قوله تعالى:"وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ..." وقوله تعالى:" فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[2]

ويوجز الزركشي (ت794هـ) هذه المعاني بقوله:"وأما التأويل فأصله في اللغة من الأوْل، ومعنى قولهم:ما تأويل هذا الكلام؟ أي: إلام تؤول العاقبة في المراد به.كما قال تعالى: "يوم يأتي تأويله" [الأعراف:53] أي:تكشف عاقبتُه، ويقال:آل الأمر إلى كذا، أي صار إليه، وقال تعالى:(ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا "[الكهف:82].

وأصله من المآل، وهو العاقبة والمصير، وقد أوَّلتهُ فآل، أي:صرفته فانصرف، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني..وقيل:أصله من الإيالة، وهي السياسة، فكأن المؤوِّل للكلام يُسوِّي الكلام، ويضع المعنى في موضعه"[3]

- **التأويل اصطلاحا**

تعددت دلالات التأويل ومقصوده عند علماء التفسير خاصة الأوائل المتقدمين منهم فيرى ابن تيمية أن للتأويل معنيين في لفظ السلف:

الأول: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التفسير والتأويل عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا"[4].

([2]) أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، مقاييس اللغة، اتحاد الكتاب العرب، 2002م، بتصرف.

([3]) بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1957، 3/148-149.

([4]) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الإكليل في المتشابه والتأويل، دار الإيمان، 26-32.

ولعل الطبري كان يعني ذلك حينما كان يكثر من قوله في تفسيره: القول في تأويل قوله كذا وكذا.

الثاني:نفس المراد بالكلام، فإذا كان الكلام طلبا كان تأويله: نفس الفعل المطلوب.وإن كان الكلام خبرا، كان تأويله:نفس الشيء المخبر به.

والواقع أن هناك فرقا بين المعنيين: فالأول يعني العلم بمعنى الكلام أي تفسيره. والثاني التأويل معناه نفس الأمور الموجودة على حقيقتها في الواقع. وعلى هذا المعنى يكون تأويل الكلام هو وجود معناه وجودا ماديا عينيا واقعيا.

غير أن العلماء الذين جاؤوا من بعد، كانوا يفرقون تفريقا جليا بين المصطلحين.فقد "كان اصطلاح (تأويل) مرادفا في الاصطلاح (تفسير)، لكنه أصبح بمرور الوقت الاصطلاح الفني الذي يطلق على مادة القرآن، أي:مضمونه، بينما أطلقت كلمة تفسير بعد ذلك على الشرح اللغوي الظاهر"[5]

[5] الموسوعة الإسلامية الميسرة193/1، هـ رجب وج كالمرز، ترجمة د.راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1985م.

المبحث الثاني: النص القرآني وبدايات التأويل

- **التأويل اللغوي:**

سيظل السؤال الذي يحتاج إلى إجابة مقنعة، وحجة قوية هو: لماذا احتاج المسلمون إلى التفسير اللغوي للقرآن الكريم بعد نزوله بما يقارب مائتي سنة؟

ويمكن أن يطرح السؤال بصيغة أكثر جرأة وهي: لماذا لم يحتج الرسول –صلى الله عليه وسلم-إلى تفسير القرآن، وقد كان يخاطب أبا لهب، وأبا جهل وغيرهما..وعلى الرغم من ذلك فهموه، ولم يتعللوا بعدم فهمه ليكون سببا لتبرير كفرهم به، بل كانوا يأمرون أتباعهم بألا يسمعوا لهذا القرآن :" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ"(فصلت:26).

فهل استطاعت الدلالة اللغوية أن تقوم بدورها في فهم معاني القرآن؟

- **الدلالة اللغوية وفهم المعنى القرآني:**

لا ريب أن الدلالة اللغوية عماد ركين عند المفسرين لفهم النص القرآني، حيث تعددت آراؤهم، وتنوعت مواقفهم من فهم دلالة اللفظ القرآني.

الملاحظ في القرآن الكريم أنه حينما أنزله الله تعالى على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- حمل الألفاظ العربية معاني لم تكن معهودة عند الإنسان العربي القديم. نعم، إنه نزل (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين) (سورة الشعراء الآية: 195) ولكن عربيته كانت جديدة في كل شيء قام ببيانه.

إن الذي أبهر العربي وهو يسمع القرآن الكريم ـ إضافة إلى أسلوبه الرائع ـ هو المعاني الجديدة التي استعمل فيها القرآن الكريم الألفاظ التي يعرفها العربي، ولكن حين استعملت في سياق القرآن الكريم أعطت دلالات لم يعهدها العربي في كلامه. إنها معاني قال عنها القرآن الكريم: (مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ) وهي معان نزلت من السماء لإصلاح حال أهل الأرض.

يوضح الدكتور إبراهيم أصبان أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء رأيه في ذلك الأمر فيقول:" إن القرآن قد أحدث قفزة كبيرة في استعمال الألفاظ العربية، وذلك بتحويل دلالة ألفاظ اللغة العربية من الاستعمال العربي البسيط إلى نسق مخالف لاستعمال الشاعر الجاهلي والأديب الجاهلي، ولهذا فإن الدعاوى التي تدعو إلى تفسير ألفاظ القرآن الكريم بالرجوع إلى اللغة والشعر الجاهلي وحدهما دعاوي ضعيفة تحتاج إلى حجة، ويستدلون على ذلك بأن القرآن عربي، وأن الإنسان العربي قد يفهم القرآن دون حاجة إلى ضوابط تفسيرية.

ويستدلون أيضا بقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإن فيه تفسير كتابكم"[6].

إننا لا ننفي قيمة هذا الشعر وأثره في فهم ألفاظ القرآن الكريم بل أقول إنه مستوى واحد فقط من مستويات تحليل الخطاب القرآني. فلا يمكن الاعتماد عليه وحده دون وضع النص الذي نريد تفسيره في السياق العام للشريعة الإسلامية بما في ذلك القرآن والحديث النبوي الشريف.

إن اللغويين الذين حاولوا تفسير القرآن الكريم بمعزل عن مراعاة السياق الذي استعمل فيه القرآن الكلمة وقعوا في أخطاء جسيمة[7].

وقد يوضع اللفظ في اللغة لمعنى معين أو يدل عليه لغة وإن لم يوضع له، لكن مراد الله تعالى قد يكون غير ذلك والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها: قال أبو عبيد معمر بن المثنى في كتابه «مجاز القرآن» عندما أراد تفسير قول الله تعالى: (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ)

---

(6) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، دار ابن عفان، 88/2. وانظر مقدمة كتاب غريب القرآن في شعر العرب سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس.

(7) إبراهيم أصبان، عربية القرآن الكريم مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، يوليو2019م

(سورة الواقعة، الآية: 29)، قال: زعم المفسرون أنه الموز، وأما العرب الطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك.

وقال الحادي:

بشَّرهَا دليلُها وقالا.... غدا تريْن الطلحَ والحبالا[8]

إن صاحب مجاز القرآن فسر اللفظة تفسيرا لغويا بحتا، ولم يراع الاستعمال القرآني للكلمة ولا السياق الذي وردت فيه. ولو أنه استعمل المنهج السياقي في التفسير ونظر إلى السابق واللاحق لعلم أن الآية مسوقة مساق الامتنان؛ فالله تعالى ذكر مننه العظيمة على عباده المؤمنين في الجنة، فكيف يمتن عليهم بشجر كثير الشوك، فالشوك لا يعد من النعم في شيء.

وفي ظلّ التراكم المعلوماتي الحادث في عصرنا هذا، وفي ظلّ تطوّر علوم اللغة واللسانيات وتشعّبها، وفي ظلّ ما يسمّيه البعض "ضرورات العصر" وضمن سياق ما يسمّى "تجديد الخطاب الديني"؛ تُطرح إشكالية "تأويل القرآن" ويُنادى بإعادة تأويله بشكل مجرّد عن أي سياق تاريخي، و"السياق" هنا يشمل روايات السنة النبوية والسيرة ومرويات الصحابة ومن تبعهم من أئمة القرون الأولى. في هذه الأجواء تكون "اللغة" من وجهة نظرهم هي المفتاح.

لقد انطلقت هذه الدعوات إلى التفسير باللغة لفهم النص القرآني من محور عربية القرآن؛ إذ هو قد نزل بلسان عربي مبين، فالأمر إذن لا يحتاج إلا أن نغوص في أعماق اللغة العربية وألفاظها لنستطيع فهم وإدراك معاني الكتاب الحكيم.

إننا لا يمكن أن نسلِّمَ بهذا الرأي، وذاك الاتجاه، فالقرآن الكريم نصٌّ مختلف عن كافة النصوص التي تناولتها اللغة العربية، إنه نص ملتحم مع السياقات الزمانية والمكانية

([8]) أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن لمعمر بن المثنى، مكتبة الحانجي، 1381هـ، 250/2.

والحياتية للواقع والحياة. إنه مرتبط بكافة الأحداث سواء سياسية أو اجتماعية، أو نفسية أو تاريخية، فقد االستغرق زمن نزوله ثلاثا وعشرين سنة..إنها سنوات مستغرقة في الحياة بكل تفاصيلها ودقائقها..فالزمن والمكان ركنان أساسيان في فهم معاني القرآن الكريم.

إنّ القرآن نفسه يرفض فكرة النصّ المجرّد الذي يأتي جملة واحدة، معزولًا عن معترك الحياة وملابساتها، قال تعالى:(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا).فهو بالتحامه هذا بوقائع الدعوة النبوية يثبّتُ فؤاد النبيّ "باتصال الوحي ومداومة نزول القرآن، فلا تصير بانقطاع الوحي مستوحشا" كما يقول الماوردي في تفسيره.

في هذا السياق يكون فهم أسباب النزول وفهم السيرة النبوية من أولويات فهم كتاب الله، فكيف تفهم رسالة لا تعرف سيرة من حملها؟ وكيف تعرف سيرته وأنت مُعرض عن المصادر التي نقلت تلك السيرة؟ وكيف تفهم العبرة المستفادة من عشرات الآيات بل المئات وأنت لا تعرف في أيّ شيءٍ نزلت؟ من هنا يتّضح أنّ الإعراض عن مرويّات السنة ومرويات الصحابة ومن تبعهم في تفسير القرآن هو تصرّف غير علمي وبعيد غاية البعد عن القراءة العلمية الموضوعية التي تهدف إلى معرفة مقاصد القرآن والقيم والأحكام التي يحملها.

إن المشكلة الحقيقية في الاعتماد على التفسير اللغوي لفهم معاني القرآن بعيدا عن السياقات الزمانية والمكانية هي أن اصطلاحات ألفاظ اللغة تتمدد في مجال رحب فسيح من الدلالات والمعاني، هذه الدلالات قد تتنوع للفظ واحد ما أرجحه في معانيها بين الشرع تارة، واللغة تارة ثانية، والعرف تارة ثالثة.

فلفظ الدابة مثلا في اصطلاح اللغة: كلّ ما يدبّ على الأرض، سواء كان عاقلا أو غير عاقل، كقوله تعالى:(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ) وفي الاصطلاح العرفي: ما يُركب

من الدواب التي نعرفها. وقد يكون المقصود منها في الاصطلاح الشرعي دابّة الأرض التي هي من علامات الساعة كما في قوله تعالى:(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) .أرأيتَ لو فسّرتَ دابّة الأرض في هذه الآية تفسيرا لغويا فقط، بعيدا عن الروايات التي تصفها، فهل سنصل إلى المعنى المراد؟

ويدلل إبراهيم أصبان على ذلك بمثال من القرآن الكريم فيقول:"كان العرب يعرفون كلمة (اقرأ) والمعنى القراءة، ولكن المراد بهذه اللفظة في الآيات لا علاقة له بمعرفتهم هذه، فالأمر (اقرأ) أمر إلهي، وهو موجه إلى من لا يعرف القراءة ولا الكتابة بالمفهوم اللغوي، وقد وضع الوحي بين يديه مادة القراءة، فإذا هي معان لا تمت إلى مذخور العقل العربي بصلة ما، وذلك متمثل في الربط البديع بين القراءة واسم الرب الخالق، وقد كانت للعرب الجاهليين فكرة عن الإله مشوشة مغلوطة، تختلط بفكرة الوثنية المشركة، فلا ريب أن مسافة هائلة كانت تفصل بين فكرتهم هذه، وبين ما دعي إليه محمد - صلى الله عليه وسلم- في هذه اللحظة الإلهية من القراءة باسم الرب الخالق، شيء غريب على العقلية العربية الجاهلية، وهو شديد الغرابة إذ استمرت الآيات فذكرت (خلق الإنسان من علق) الألفاظ سهلة مأنوسة، ولكن المعنى جديد تماما، بل إن هذا المعنى بقي جديدا حتى الآن، يحاول العلم أن يصل إلى أسرار هذه العلقة، فيتكشف له كل يوم جديد دون أن يتصور أنه واصل إلى غاية هذا المعنى القرآني، عن أصل الإنسان اللغز الأبدي"[9]

إن النظر إلى الاستعمال السياقي لا ينفك عنه اللغوي الذي يقصد بيان الألفاظ القرآن وعربيته، بله مفسرو السلف الذين يكثر في تفسيرهم الاعتناء ببيان المعاني دون تحرير الألفاظ من جهة اللغة، ومن أمثلة ذلك تفسير أبي عبيدة كمعمر بن المثنى البصري (ت : 210) لقوله تعالى : (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)(البقرة: من الآية191)،

(9) عربية القرآن الكريم، إبراهيم أصبان.

قال : أي : الكفر أشدُّ من القتل في أشهر الحُرُمِ ؛ يقال : رجلٌ مفتونٌ في دينه ؛ أي : كافر)) . (مجاز القرآن / 1 : 68) .

ولو ذهب أبو عبيدة إلى التفسير اللغوي، لقال : الفتنة : الامتحان والاختبار، لكنه ذهب إلى تفسير المراد بالفتنة في هذا السياق، وهو الكفر.

ومن المحاذير التي يوقع فيها منهج الاعتماد على المعاني اللغوية مع إغفال المعاني الشرعية التي دلّ عليها الوحي أنّه يحرّف الكثير من المفاهيم الشرعية الخطيرة، ولنأخذ على سبيل المثال مفهومين على غاية من الخطورة والأهمية: مفهوم الإيمان، ومفهوم الولاء.

أما مفهوم الإيمان فقد قالت بعض الفرق إنّه "التصديق" فحسب، باعتبار أنّ هذا هو معناه اللغوي. ومن ثمّ أصبح التكليف الشرعي الذي سمّاه الله في كتابه إيمانًا هو مجرّد التصديق! مع أنّ الإيمان المطلوب شرعًا للنجاة الأخروية هو شيء زائد على التصديق في كتاب الله، فلا يدخل الجنّة مشركٌ كما تدلّ الكثير من الآيات، ومع أنّ القرآن ذكر أقواما صدّقوا بالله عزّ وجلّ وبرسله ولكنّهم كانوا رافضين لرسالاته جحودا، كما قال تعالى حكاية عن المشركين: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}. وقد أثبت سبحانه الإيمان اللغوي لقوم مشركين فقال عزّ وجلّ: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ}، فهل يُقال عن هؤلاء إنهم مؤمنون يدخلون الجنّة؟ أم نقول كما قال الله عزّ وجلّ في كتابه إنّ البراءة من الشرك هي شرط دخول الجنة كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}.

فتصوّروا كيف سيتمّ اختزال الإيمان الإسلامي ومضامينه القرآنية حين يكون المطلوب لدخول الجنّة هو مجرّد التصديق، حتى قال أحد الدعاة المعاصرين إنّه يكفي أهل الكتاب تصديق الرسول - صلى الله عليه وسلّم- ليدخلوا الجنّة بحسب دين الإسلام، مع أنّ الله عز وجلّ يقول: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. فاشترط سبحانه عليهم نصرته واتّباع ما جاء به من عند الله كي يفلحوا، وقال سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}.

هذا هو الإعجاز القرآني الذي منح اللفظ العربي امتدادا في المدلول فأحدث ثورة لغوية لم تشهدها لغة من لغات البشر. وقد وقع التطور في اللغة العربية في صورة انتقالات على خيط المعنى الممتد من استعمال الجاهلية إلى استعمال القرآن[10].

إنّ المتأمّل في لهجاتنا المعاصرة المتنوّعة، سيدرك تمام الإدراك بأنّ سبيل معرفة المعاني والدلالات فيها ليس هو البحث اللغوي، أي ليس البحث عن الجذر اللغوي للألفاظ. بل هو البحث في السياق المجتمعي للغة. فلو أنّ شخصًا ما ذهبَ إلى إحدى البلدات التي لها لهجة خاصة، فإذا سمع كلمة منهم سألهم هُم ماذا تعني هذه الكلمة؟ ولن يلجأ للقاموس وإلا سيأتي بالمضحكات!

لم يكن الهدف من هذا البحث الدعوة إلى نبذ التفسير اللغوي، وإنّما تفنيد النظرية التي تدعو إلى استقلال تفسيرنا للقرآن باللغة، ونبذ ما سوى ذلك من مسالك علمية لمعرفة المعاني والأحكام التي يحويها كتاب الله. فهي نظرية بائسة لا تنطلق من تفكير علمي موضوعي، بل دافعُها - في رأيي - أهواء تهدف إلى تمييع النصّ القرآني وجعله طيّعا في أيدي أصحاب هذا الطرح يذهبون به كل مذهب ويضعونه على أي معنى يريدون. فهم يلجأون إلى المعنى اللغوي للكلمات، لِعِلْمهم بأنّ لسان العرب واسع، تجدُ للكلمة الواحدة فيه العديد من المعاني والاستعمالات، ويُعينهم على ذلك الطبيعة الاشتقاقية للّغة العربية، حيث يمكن بالنزول إلى الجذر للأسفل، ثم العودة للأعلى باتجاه آخر؛ العثورُ على معانٍ جديدة وإلصاقها باللفظ الوارد في النصّ القرآني، ومن ثم الخروج بتفسير جديد تماما للنصّ، مما يؤدي إلى تحريفه!

---

(10)عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، 1986، 59

هذا، ولما فشلت اللغة بنحوها ومعاجمها في إصابة المعنى فاتجه المقسرون إلى الأخبار.

المبحث الثالث :التأويل وانحرافات التفسير

إن المشكلة الحقيقية لكتب التفسير تكمن في أن كثيرا من المسلمين ينظرون إليها بعين القداسة، على الرغم من بشرية أصحابها..والحقيقة أن "الكثير منها لا يخلو من اتجاهات منحرفة في فهم النص القرآني، وتأويلات باطلة، بعضها متكلف مرذول، يمجه الذوق السليم، وتأباه بلاغة القرآن الكريم"[11]

ولا شك أنه كان هناك فجوة بين لغة النص القرآني الأم ولغة المفسرين بعد ذلك، تفاوتت في مراحلها:

- مرحلة الرواية: وتبدأ من عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- وحتى تابعي التابعين، وفي هذه المرحلة لم تكن الفجوة قد ظهرت ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قد فهم القرآن الكريم فهما كاملا جملة وتفصيلا، بعد أن تكفل الله سبحانه وتعالى بالحفظ والبيان "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) القيامة17-19.

ثم جاء عصر التابعين، فكان منهم من تصدى لتفسير القرآن الكريم، فروى ما تجمع لديه من ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الصحابة، وزاد على ذلك برأيه واجتهاده بمقدار ما زاد من الغموض الذي كان يتزايد كلما بعد الناس عن عصر النبي-صلى الله عليه وسلم-والصحابة.

- **مرحلة التدوين:** وتبدأ هذه المرحلة من نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، واتخذ التفسير فيها عدة خطوات:

الأولى:كان جمع التفسير جمعا لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعا للتفسير على أنه علم مستقل قائم بذاته.

---

(11)الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها.محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، 1406هـ/1986م.ص7.

الثانية: وفيها انفصل التفسير عن الحديث وأصبح علما قائما بنفسه، فوضع التفسير لكل آية من القرآن، ورتب ذلك حسب ترتيب المصحف. وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ، وإلى الصحابة والتابعين وتابعيهم. ولم يزد على أنه تفسير بالمأثور.

الثالثة:وفيها لم يخرج التفسير عن التفسير بالمأثور، لكنه خرج عن طابعه المألوف وهو تدوين المأثورات بأسانيدها. لكن حدث أن اختصرت الأسانيد، فدخل الوضع في التفسير، والتبس الصحيح بالعليل.

الرابعة: وتمتد من العصر العباسي حتى اليوم، وفيها يختلط الفهم العقلي بالتفسير النقلي فهي محاولات فهم شخصي، وترجيح بعض الأقوال على بعض بالرجوع إلى حدود اللغة ودلالات الكلمة القرآنية..بيد أن هذه المحاولات امتدت وتشعبت وسائلها المتمثلة في العلوم والمعارف والعقائد المختلفة والمتباينة..مما حدا بها في النهاية إلى الشطط والفشل في بيان معاني النص القرآني.

ويظهر من هذا أن مشكلة التفسير بدأت بعد عصر التدوين والتباعد الزمني واللغوي بين عصر النبوة وعصر التدوين؛ حيث بدأت مرحلة التدوين، ونشطت لتشمل علوم اللغة والنحو والصرف، وكتب الفلسفة، كما تعددت المذاهب الفقهية والعقدية، وهي- ولا شك- تَعجُّ بكثير من الآراء، والاختلافات مصحوبا ذلك كله بالنزعة المذهبية والنعرة التعصبية، كل يميل إلى مذهبه، ونتج عن هذا أن اختلط كل هذا بالتفسير محولا مراد اللفظ القرآني إلى غير معناه، فلا صوت يعلو فوق صوت العقل ..ومما زاد الطين بِلَّة والمرض عِلَّة غلبة التخصص على التفسير فصار النحوي يصرف جُلَّ همه في الإعراب ومسائل الخلاف كما فعل أبو حيان في "البحر المحيط"والفلسفة، وأقوال الحكماء كما عند فخر الرازي في"مفاتيح الغيب"وهكذا الحال مع الفقه، والتاريخ، والتصوف.

"ولو أن هؤلاء جميعا حين خاضوا في تفسير القرآن الكريم، لم ينظروا إليه من خلال نزعاتهم وأهوائهم، وراعوا، قوانين التفسير التي لا يجوز تخطيها، ما رأينا هذه الاتجاهات المنحرفة التي لا تخضع إلا لمجرد الهوى والاستحسان"[12].

(12) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم ص19.

التفسير بالرأي وفهم المعنى القرآني:

وهو التفسير القائم على اجتهاد التابعين للصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء الأتقياء ذوى الفطن وهم الذين اتخذوا من سعة علومهم باللغة وإلمامهم بأصول الشريعة وفهمهم لروح الدعوة الاسلامية اتخذوا من ذلك وسيلة للتمحيص والتخريج واستنباط آراء وشروح مفصلة لقضايا وردت في القرآن بطريق الإشارة إليها أو الإجمال لها، وقد فتح ذلك باب التفكر والتدبر في آيات الله وعدم الاقتصار على ظواهرها وعلى آراء السلف فقط في تفسيرها بل حاولوا الاجتهاد والتعمق في فهمها واستخراج المعاني الدقيقة المنطوية عليها بحيث لا يخالف هذا الاجتهاد روح الشريعة وأهدافها.

وقد أجاز هذا التفسير بالرأى الإمام الغزالي وغيره ما دام الرأى لا يخالف القرآن ولا يعارض السنة النبوية ويحقق ما أمر به الله في قوله تعالى في سورة محمد آية 24: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟) وفى هذا تحريض على التدبر والتفكر في القرآن بقلوب مفتوحة وعقول مستنيرة غير مغلقة.

وأنه على الرغم من الدعوة إلى تعقل آيات الله والتعمق في معانيها إلا أن هناك من المحاذير ما يمنع بل يحرم تحريما باتا استعمال الرأى إذا كان هذا الرأى نابعا عن هوى شخصي في نفس المفسر ما يتنافى مع الشرع ويأباه العرف، أو كان رأيا صادرا عن تحميل الآيات ما لا تتحمله لإقرار مذهب معين يتعصب له المفسر ويقحمه إقحاما لا مبرر له أصلا في نصوص الآيات لأن ذلك يفتح أمام القلوب المريضة المجالات للتهجم على القرآن بما لم ينزل به الله سلطانا.

وقد نقل السيوطي عن الزركشي "في البرهان" خلاصة الشروط التي لا بد منها لإباحة التفسير بالرأي، فرآها تندرج تحت أربعة[13]:

الأول: النقل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

([13]) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد، 2/ 304 والبرهان 2/ 156-161.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل: إنه في حكم المرفوع مطلقا، وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

الرابع: الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع. وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

والمتأمل في هذا النوع من التفسير يجد أنه ينطوي على خطورة بالغة، ومرد تلك الخطورة راجع إلى خطأ هذا التفسير، الذي يريد صاحبه أن يحمِّل ألفاظ القرآن الكريم على ما اعتقده من معاني اللغة العربية، ويقرر هذا المعنى كونه أحد معاني اللغة العربية دون أن يضع في اعتباره حال المنزَّل عليه القرآن والمخاطب به أيضا.

ويتخذ هذا الخطأ أشكالا وصورا، فالأول منها أن المعنى سواء كان مثبتا أو منفيا يكون صوابا مع أن لفظ القرآن لا يدل عليه، ويكثر هذا في تفسير المتصوفة، ومن هذا ما جاء في تفسير السلمي (حقائق التفسير) في تفسيره لقوله تعالى:(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ...)[النساء:66].فيقول :اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم، أي:أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم".[14]

فهذا المعنى –لا شك-صحيح في ذاته، لكنَّ مراد الآية الظاهر غير هذا. وكأنهم يقولون:إن المعاني الظاهرة غير مرادة.

وقد يكون المعنى المراد تأويله خطأ لكن المفسر يحمل عليه لفظ القرآن مع عدم دلالة اللفظ عليه تماما، كما جاء في تفسير ابن عربي فيما عرف بوحدة الوجود، فيقول في سورة المزمل:(وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) حيث قال ما نصه: واذكر اسم ربك الذي هو أنت.[15]

([14]) أبو الحسن بن موسى الأزدي السلمي، حقائق التفسير، دار الكتب العلمية، 2001م.

([15]) محي الدين ابن عربي، تفسير ابن عربي، دار الكتب العلمية.

أو كما يفسر غلاة الشيعة بأن المقصود من قوله تعالى:"الجبت والطاغوت" بأنهما أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما-.

ومن أمثلة تفاسيرهم وتأويلاتهم ما ورد مرويا عن الإمام الباقر في شرح قوله تعالى: (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوهم في النار) أنه فسر الحسنة بأنها هي معرفة الإمام وحب آل البيت وأن السيئة هي إنكار الامام وبغض آل البيت، وكذلك ما روى عن جعفر الصادق في قوله: (فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أنه فسرها بأن أعمال الناس تعرض على الأئمة من آل البيت.

وعن هذا يقول الطاهر بن عاشور عن هذه الطائفة: "التزمت تفسير القرآن بما يوافق هواها، وصرفوا ألفاظ القرآن عن ظواهرها بما سموه الباطن، وزعموا أن القرآن إنما نزل متضمنا لكنايات ورموز عن أغراض، وأصل هؤلاء طائفة من غلاة الشيعة عرفوا عند أهل العلم بالباطنية فلقبوهم بالوصف الذي عرفوهم به، وهم يعرفون عند المؤرخين بالإسماعيلية لأنهم ينسبون مذهبهم إلى جعفر بن إسماعيل الصادق، ويعتقدون عصمته وإمامته بعد أبيه بالوصاية، ويرون أن لا بد للمسلمين من إمام هدى من آل البيت هو الذي يقيم الدين، ويبين مراد الله"[16].

وتفاسير الفرق الإسلامية المختلفة ترجع -في الحقيقة- إلى التفسير بالرأي، غير أنها تدخل في النوع المذموم منه، لأن أصحابها لم يؤلفوها إلا لتأييد أهوائهم، أو الانتصار لمذاويقهم ومواجيدهم، من ذلك تفاسير المعتزلة والمتصوفة والباطنية.[17]

<u>التفسير الإشاري وفهم المعنى القرآني:</u>

والتفسير الصوفي يعتمد أساسا على أن للقرآن ظاهرا وباطنا، ويقصد بالظاهر الشريعة وبالباطن الحقيقة، وعلم الشريعة علم المجاهدة، وعلم الحقيقة علم الهداية، وعلم الشريعة علم الآداب وعلم الحقيقة علم الأحوال، وعلم الشريعة يعلمه علماء الشريعة وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله، يقول السلمى في مقدمة تفسيره عن الباعث

([16])التحرير والتنوير 23/1، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م

([17]) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، يناير2000م.

لإقدامه على كتابة تفسير القرآن: (لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن، من قراءات وتفاسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفصل وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفا أستحسنها من ذلك وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه على السور حسب وسعى وطاقتى) [18]

ويقول سهل بن عبد الله التسترى في تفسيره: (ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان، ظاهر وباطن وحد ومطلع) [19]

ومنه أيضا تفسير لطائف الإشارات للقشيري، ويرى فيه أن الله أجرى إشارات لفهم معاني القرآن على قلوب أهل المعرفة: (وكتابنا هذا يأتى على طرف من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة إما من معاني قولهم أو قضايا أصولهم، سلكنا فيه طريق الإقلال خشية الملال مستمدين من الله تعالى عوائد المنة، متبرئين من الحول والمنة مستعصمين من الخطأ والخلل، مستوثقين لأصوب القول والعمل)[20]

---

[18] تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية، دراسة وتحقيق حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي، رسالة ماجستير.إعداد سلمان نصيف جاسم التكريتي، مكتبة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1975م، ص22.

[19] تفسير القرآن العظيم، سهل بن عبد الله التستري، مطبعة السعادة، 1908م، ص61.

[20] لطائف الإشارات، القشيري، تحقيق د.إبراهيم بسيوني، طبعة الهيئة العامة للكتاب، ط3، 1981م، 41/1.

والملاحظ أن السمة الغالبة في التفسير الإشاري لدى الصوفية تتضح فيما يلي :

أولا:أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن الظاهر للعوام والباطن لا يدركه إلا الخواص وإدراك الخواص هو فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم عن معارف لدنية مباشرة .

ثانيا:أن العلم بالقرآن على هذا النحو يفترق عن العلوم القرآنية الأخرى في بدايته وفى طرائقه وفي غاياته، فضلا عن أنه يفترق عن سائر العلوم بضرورة العمل، فالعالم لابد أن يكون عاملا وعمله هو جهاده ورياضاته فضلا عن تزكية النفوس وتطهير القلوب والحث على التحلى بالأخلاق الفاضلة.

ثالثا: أن التفسير الإشاري وإن كان يعتمد على ما وراء العبارة الظاهرية إلا أنه لم تخل من بعض ما نقل من الآثار على النحو المذكور في التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي بالطريقة الاستنباطية، أو تفسيرات تعتمد على معاني الألفاظ والتفسيرات البلاغية.

رابعا: تتعرض هذه التفسيرات لكثير من المعاني والمصطلحات الصوفية التي تكشف عن طريقتهم وتجربتهم، لا سيما أنهم يوجهون الآيات كشواهد لهذه الرموز والمصطلحات.

خامسا:معاني تفسيراتهم لا يصل إليها الإنسان العادي إلا بمشقة وعنت، و هناك معان مشكلة تصل في بعض الأحيان إلى الكفر والزندقة.

سادسا:يشوب هذه التفسيرات كثير من الانحرافات العقدية وغيرها فيما يتعلق بصحيح الدين فهي لم تسلم من الإسرائيليات، والاستشهاد بغير القرآن والسنة، ولم تتبع الدقة في تحري ثبوت الحديث، أو مراعاة التعليق على الأسانيد، وكذلك لم تخل من فكر باطني.[21]

---

[21] الموافقات للشاطبي 403/3.

والسؤال الآن..هل استطاعت التفسيرات الإشارية أن تبين المعنى القرآني الذي أراده اللفظ القرآني؟ وهل يمكن أن نقبل هذه التفسرات الإشارية التي لا تزيد الأمر إلا صعوبة في فهم المعنى؟

حول هذا السؤال يقرر محمد حسين الذهبي أن الأدلة مجتمعة تعطينا أن القرآن الكريم له ظهر وبطن، ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربي، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر، غير أن المعاني الباطنية للقرآن، لا تقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة بل هي أمر فوق ما نظن وأعظم مما نتصور.

ومن أمثلة التفسير الإشاري:

قولهم في قوله تعالى: {لينفق ذو سعة من سعته...} فالآية في نفقة الزوجة، لكن أرباب السلوك يرون فيها إشارة إلى أن الواصل يرشد إلى الله على قدر ما وهبه الله من المعرفة، والسالك يرشد أيضا لكن على قدره، قال ابن عطاء الله في الحكم:

(لينفق ذو سعة من سعته...) الواصلون إليه {ومن قدر عليه رزقه...} السائرون إليه).

و قوله تعالى: {إنما الصدقات للفقراء والمساكين} فالآية في مصارف الزكاة، لكن أرباب السلوك يرون فيها إشارة إلى أن مواهب الله على القلوب لا تكون إلا بتحقيق الفقر والمسكنة لله.

وقد استدل الصوفية لإباحة هذا النوع من التفسير بأدلة واهية؛ إما ضعيفة أو ساقطة أو موضوعة، لا يمكن أن يؤخذ منها ولو إلماحة لتجويز مثل هذه الشطحات مع كتاب الله تعالى.

الخاتمة والنتائج

وبعد، فقد عرضت سريعا لقضية فهم النص القرآني، وهل نستطيع أن نفهمه بلغته أم بالتأويل لهذه اللغة؟

وهل استطاعت التفاسير المختلفة أن توضح مقصود اللفظ القرآني أم أنها زادت صعوبة فهمه؟ وإذا كان الأمر يقتضي تفسيرا للفظ فأي تفسير من هذه التفاسير نقبل؟ هل نقبل التفسير اللغوي، أم التفسير بالرأي، أم بالمأثور أم الإشاري؟

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج أهمها:

- خرجت تفاسير كثيرة لبيان المعنى القرآني تنوعت بين اللغوي وما تفرع عنه من اختلافات بين النحاة في الإعراب وما يترتب عليه من معنى والتأويلي وما شابه من تعصب لمذهب سياسي أو ديني مما أضر بالمعنى القرآني وخفاء دلالته على العامة وكثير من أهل العلم.
- اهتم المفسرون عبر مراحل تاريخ هذه الأمة بوضع القواعد المنهجية التي ترسموها في تفاسيرهم، وكشف الباحثون القناع عن أسس هذه المناهج وطرقها.ومرت الحركة التفسيرية بأربعة مراحل (التأسيس- التأصيل- التفريع- التجديد).
- إن اللغويين الذين حاولوا تفسير القرآن الكريم بمعزل عن مراعاة السياق الذي استعمل فيه القرآن الكلمة وقعوا في أخطاء جسيمة. وطرحت إشكالية "تأويل القرآن" ويُنادى بإعادة تأويله بشكل مجرّد عن أي سياق تاريخي، و"السياق" هنا يشمل روايات السنة النبوية والسيرة ومرويات الصحابة ومن تبعهم من أئمة القرون الأولى. في هذه الأجواء تكون "اللغة" من وجهة نظرهم هي المفتاح.
- لا يمكن أن نسلِّمَ بهذا الرأي، وذاك الاتجاه، فالقرآن الكريم نصٌّ مختلف عن كافة النصوص التي تناولتها اللغة العربية، إنه نص ملتحم مع السياقات الزمانية والمكانية والحياتية للواقع والحياة.

- إنّ القرآن نفسه يرفض فكرة النصّ المجرّد الذي يأتي جملة واحدة، معزولًا عن معترك الحياة وملابساتها، قال تعالى:(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا).فهو بالتحامه هذا بوقائع الدعوة النبوية يثبّتُ فؤاد النبيّ "باتصال الوحي ومداومة نزول القرآن.
- لا شك أنه كان هناك فجوة بين لغة النص القرآني الأم ولغة المفسرين بعد ذلك، تفاوتت في مراحلها.
- حركة التفسير بدأت بعد عصر التدوين والتباعد الزمني واللغوي بين عصر النبوة وعصر التدوين حيث بدأت مرحلة التدوين، ونشطت لتشمل علوم اللغة والنحو والصرف، وكتب الفلسفة، كما تعددت المذاهب الفقهية والعقدية، وهي- ولا شك-تَعجُّ بكثير من الآراء، والاختلافات مصحوبا ذلك كله بالنزعة المذهبية والنعرة التعصبية، كل يميل إلى مذهبه.
- التفسير بالرأي ينطوي على خطورة بالغة، ومرد تلك الخطورة راجع إلى خطأ هذا التفسير، الذي يريد صاحبه أن يحمِّل ألفاظ القرآن الكريم على ما اعتقده من معاني اللغة العربية، ويقرر هذا المعنى كونه أحد معاني اللغة العربية دون أن يضع في اعتباره حال المنزَّل عليه القرآن والمخاطب به أيضا.
- يرى التفسير الإشاري الصوفي أن للقرآن ظاهرا وباطنا، وأن الظاهر للعوام والباطن لا يدركه إلا الخواص وإدراك الخواص هو فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم عن معارف لدنية مباشرة .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها، محمد حسين الذهبي، . مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، 1406هـ/1986م.
- الإكليل في المتشابه والتأويل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ، دار الإيمان.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1957.
- تفسير ابن عربي، محي الدين ابن عربي، دار الكتب العلمية.
- تفسير القرآن العظيم، سهل بن عبد الله التستري، مطبعة السعادة، 1908م.
- تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية، دراسة وتحقيق حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي، رسالة ماجستير.إعداد سلمان نصيف جاسم التكريتي، مكتبة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1975م.
- حقائق التفسير، أبو الحسن بن موسى الأزدي السلمي دار الكتب العلمية، 2001م.
- عربية القرآن الكريم، إبراهيم أصبان، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، يوليو2019م.
- العربية لغة العلوم والتقنية، عبد الصبور شاهيندار الاعتصام، 1986.
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.
- لطائف الإشارات، القشيري، تحقيق د.إبراهيم بسيوني، طبعة الهيئة العامة للكتاب، ط3، 1981م، 41/1.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، يناير2000م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، لمعمر بن المثنى، مكتبة الحانجي، 1381هـ.
- محمد الطاهر بن عاشور، لتحرير والتنوير، دار النشر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، اتحاد الكتاب العرب، 2002م.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار ابن عفان.
- الموسوعة الإسلامية الميسرة، رجب وج كالمرز، ترجمة د.راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1985م.